أن يقتلنا يهود . وقد قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَاءَتْهُم كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٩٧] ، وقد جاءكم بآيات هى أعظم من بشارات الأنبياء به وأظهر ، بحيث إن كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر ، فما زادكم ذلك إلا نفوراً وتكذيباً وإباء لقبول الحق ، فلو نزَّل الله إليكم ملائكته وكلمكم الموتى وشهد له بالنبوة كل رطب ويابس لغلبت عليكم الشقوة وصرتم إلى ما سبق لكم فى أم الكتاب .

وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد من الحسد من آيات الأنبياء ما رأوا وما زادهم ذلك إلا تكذيباً وعناداً ، فأسلافكم وقدوتكم فى تكذيب الأنبياء من الأمم لا يحصيهم إلا الله حتى كأنكم تواصيتم بذلك أوصى به الأول للآخر واقتدى فيه الآخر بالأول ، قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾ [الذاريات : ٥٢ ، ٥٣] ، وهب أنا ضربنا عن إخبار الأنبياء المتقدمين به صفحاً ، أفليس فى الآيات والبراهين التى ظهرت على يديه ما يشهد بصحة نبوته ؟! وسنذكر منها بعد الفراغ من الأجوبة طرفاً يقطع المعذرة ويقيم الحجة ، والله المستعان .

فصـــل

[السؤال الخامس]

قال السائل : « **إنكم نسبتم الأمتين العظيمتين المذكورتين إلى اختيار الكفر على الإيمان للغرض المذكور ، فابن سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض ؛ لأنهم قليلون جداً ، وأضداده كثيرون لا يحصيهم عدد** » اهـ .

والجواب من وجوه :

أحدها : أنا قد بينا أن جمهور هاتين الأمتين المذكورتين آمن به وصدقه وقد كانوا ملء الأرض ، وهذه الشام ومصر وما جاورهما واتصل بهما من أعمالهما ، والجزيرة والموصل وأعمالهما ، وأكثر بلاد المغرب وكثير من بلاد المشرق ، كانوا كلهم نصارى فأصبحت هذه البلاد كلها مسلمين ، فالمتخلف من هاتين الأمتين عن الإيمان به أقل القليل بالإضافة إلى من آمن به وصدقه ، وهؤلاء عباد الأوثان كلهم أطبقوا على الإسلام إلا من كان منهم فى أطراف الأرض بحيث لم تصل إليه الدعوة ، وهذه أمة المجوس توازى هاتين الأمتين كثرة وشوكة وعدداً دخلوا فى دينه وبقى من بقى منهم كما بقيتم أنتم تحت الذلة والجزية .

الثانى : أنا قد بينا أن الغرض الحامل لهم على الكفر ليس هو مجرد المأكلة والرياسة فقط وإن كان من جملة الأغراض ؛ بل منهم من حمله ذلك ، ومنهم من حمله الحسد ، ومنهم من

حمله الكبر ، ومنهم من حمله الهوى ، ومنهم من حمله محبة الآباء والأسلاف وحسن الظن بهم ، ومنهم من حمله ألفه للدين الذى نشأ عليه وجبل بطبعه فصار انتقاله عنه كمفارقة الإنسان ما طبع عليه ، وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولى على أكثر بنى آدم فى إيثارهم ما اعتادوه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والديانات على ما هو خير منه وأوفق بكثير ، ومنهم من حمله التقليد والجهل وهم الأتباع الذين ليس لهم علم ، ومنهم من حمله الخوف من فوات محبوب أو حصول مرهوب ، فلم تنسب هاتين الأمتين إلى الغرض المذكور وحده .

الثالث : أنا قد بينا أن الأمم الذين كانوا قبلهم كانوا أكثر عدداً وأغزر عقولاً منهم وكلهم اختاروا العمى على الهدى والكفر على الإيمان بعد البصيرة ، فلهاتين الأمتين سلف كثير وهم أكثر الخلق .

الرابع : أن عبد الله بن سلام وذويه إنما أسلموا فى وقت شدة من الأمر وقلة من المسلمين وضعف وحاجة وأهل الأرض مطبقون على عداوتهم واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والحلقة والسلاح ، ورسول الله ﷺ وأصحابه إذ ذاك قد أووا إلى المدينة ، وأعداؤهم يتطلبونهم فى كل وجه ، وقد بذلوا الرغائب لمن جاءهم بهم ، فخرج رسول الله ﷺ وصاحبه وخادمهما فاستخفوا ثلاثاً فى غار تحت الأرض ، ثم خرجوا بعد ثلاث على غير الطريق إلى أن قدموا المدينة ، والشوكة والعدد والعدة فيها لليهود والمشركين .

فأسلم عبد الله بن سلام حين مقدم النبى ﷺ المدينة لما رأى أعلام النبوة التى كان يعرفها وشاهدها فيه ، وترك الأغراض التى منعت المغضوب عليهم من الإسلام من الرياسة والمال والجاه بينهم ، وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله ﷺ أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم ، فعلم أنهم إن علموا بإسلامه أخرجوه من تلك الرياسة والسيادة فأحب أن يعلم رسول الله ﷺ بذلك ، فقال : أدخلنى بعض بيوتك وسلهم عنى ، ففعل ، وسألهم عنه فأخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم ، فخرج عليهم وذكرهم وأوقفهم على أنهم يعلمون أنه رسول الله ، وقابلهم بذلك ، فسبوه وقدحوا فيه وأنكروا رياسته وسيادته وعلمه .

فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثر عرض الدنيا والرياسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأمة الغضب والقوم البهت ، وهكذا شأن من أسلم من اليهود حينئذ ، وأما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته ، وقال : إن هؤلاء قد عظمونا ورأسونا ومولونا فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا ، وهذا قد رأيناه نحن فى زماننا وشاهدناه عياناً .

ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم ، فلما تبين له الحق بهت ، فقلت له وأنا وهو خاليين : ما يمنعك الآن من اتباع الحق ؟ فقال لى : إذا قدمت على هؤلاء الحمير ـ

هكذا لفظه ـ فرشوا لنا الشقاف[1] تحت حوافر دابتي وحكموني في أموالهم ونسائهم ولم يعصوني فيما آمرهم به ، وأنا لا أعرف صنعة ولا أحفظ قرآناً ولا نحواً ولا فقهاً ، فلو أسلمت لدرت في الأسواق أتكفف الناس ، فمن الذي يطيب نفساً بهذا ؟! فقلت : هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك يخزيك ويذلك ويحوجك ؟! لو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك ، فقال : حتى يأذن الله ، فقلت : القدر لا يحتج به ، ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجة للمشركين على تكذيب الرسل ، ولاسيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به ؟! فقال : دعنا الآن من هذا وأمسك .

الخامس : أن جوابك في نفس سؤالك فإنك اعترفت أن عبد الله بن سلام وذويه كانوا قليلين جداً وأضدادهم لا يحصون كثرة ، ومعلوم أن الغرض الداعي لموافقة الجمهور الذين لا يحصون كثرة وهم أولوا القوة والشوكة أقوى من الغرض الداعي لموافقة الأقلين المستضعفين . والله الموفق .

فصـــل

[السؤال السادس]

قال السائل : « **تدخل علينا الريبة من جهة عبد الله بن سلام وأصحابه ، وهو أنكم قد بنيتم أكثر أساس شرائعكم في الحلال والحرام والأمر والنهي على أحاديث عوام من الصحابة الذين ليس لهم بحث في علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم ، فابن سلام هو وأصحابه أولى أن يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم ، لأنهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده ، ولا نراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والأمر والنهي إلا شيئاً يسيراً جداً ، وهو ضعيف عندكم** » اهـ .

والجواب من وجوه :

أحدها : أن هذا بهت من قائله ، فإنَّا لَمْ نَبْنِ أساس شريعتنا في الحلال والحرام والأمر والنهي إلا على كتاب ربنا المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ ، الذي تحدى به الأمم كلها على اختلاف علومها وأجناسها وطبائعها وهو في غاية الضعف ، وأعداؤه أطبقوا الأرض أن يعارضوه بمثله فيكونوا أولى بالحق منه ويظهر كذبه وصدقهم فعجزوا عن ذلك .

فتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ، فتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله

---

(١) الشَّقَف : الخَزَف . أو مُكَسَّره . واحدته : شقفه .